دور الإحالة والعطف في تحقيق التماسك النصي

دراسة تحليلية لآيات التوحيد

Role of Referral and Conjunction in textual coherence An analytical study of the verses of Monotheism

Dr.Nargis Nazir

Assistant Professor,
Department of Translation & Interpretation
Faculty Of Arabic
International Islamic University, Islamabad.
nargis.nazir@iiu.edu.pk

Dr. Shair Ali Khan

Assistant Professor
Chairman
Department of Translation & Interpretation
Faculty Of Arabic
International Islamic University, Islamabad
Shair.ali@iiu.edu.pk

Abstract

This paper is an analytical study of the Textual coherence of Quranic discourse. Textual coherence is one of the most vital characteristics of text, and linguistics scholars have unanimously described the textual coherence as the basis for the text's structure and formulation.The Referral (الإحالة and Conjunction (العطف) are the most common linguistic elements which play a great role in the textual coherence, since there is no text or sentence without Referral as linguistic elements related by what they refer to, and It is hard to imagine a text of two or more sentences without conjunction used to connect its parts. Keeping in view the importance of textual coherence as a fundamental element in understanding the message, we

intended to reveal the significance of these (Reference and Conjunction) linguistic tools and their role in forming a well- structured discourse.

Key words: Referral, conjunctions, coherence, Quranic monotheism verses.

المقدمة

إن العلماء والمفسرين انشغلوا بإبراز الأسرار البيانية في الخطاب القرآني ، وكما اهتموا باستخراج وسائل التماسك النصي ، منها وسيلة الإحالة، الإحالة الضميرية والإشارية والموصولية. منها الربط، والمراد به وسائل الربط كحروف العطف. ومنها الحذف. ومنها الاستبدال وغيرها.

وهذه الأدوات تلعب دورا هاما في السبك النصي ، حيث إن هذه الوسائل تقوم بدور مهم في ربط بين أجزاء الجملة الواحدة بين نواتها ومتمماتها ومكوناتها من ناحية ، وربط عدة جمل بعضا مع البعض ليتكون خطاب شامل .

ومن أبرز الأمثلة لما قلنا اهتمام عبد القاهر الجرجاني بفكرة النظم وكلامه عن السبك والحبك وأدواتهما ومناسبة الكلام لمقتضى الحال، ثم قيامه بالتحليل النصي لهذه القضايا.

دور الإحالة والعطف في تحقيق التماسك النصي:

اختلفت أراء العلماء حول الوسائل أو الأدوات التي يتحقق بها التماسك النصي أو البنية التركيبية، لا تتحقق التماسك النصي لأي نص من النصوص أيا كان حجمه يعني طال أو قصر إلا بما يسمى وسائل الربط أو أدوات الربط. و قد تكلم عن هذه الوسائل "هاليدي" و"رقية حسن".[1] وقد يشتمل التماسك النصي عندهما ما يلي:

الإحالة و العطف و الاستبدال و الحذف و الاتساق المعجمي.

وتتناول هذه المقالة وسيلتين من هذه الوسائل: الإحالة والعطف.

أولا :الإحالة

الإحالة لغة: ورد في الصحاح في مادة " الحول : السنة ، وحال عليه الحول أي مرّ ..وحال عن العهد حؤولا :انقلب ، وحال لونه أي تغير ، وحال إلى مكان آخر أي تحول ، وحال الشخص أي تحرك ، والتحول أي التنقل من موضع إلى آخر.([2])

إصطلاحا:المراد بها عند الخطابي "وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل و إنما تحيل إلى عنصر آخر، و لذا تسمى عناصر محيلة مثل الضمائر و أسماء الإشارة و أسماء الموصولة...".([3])

حد الإحالة عند "جون لايتر" هي العلاقة بين الأسماء و المسميات. يعنى الأسماء تحيل إلى المسميات مع اقتضاء التطابق والتماثل بينهما (المحيل والمحال إليه).([4])

والإحالة تنقسم إلى قسمين أساسيين: الإحالة الداخلية والإحالة الخارجية

الإحالة الداخلية: يعنى إحالة داخل النص وتسمى النصية، وهي تنقسم بدورها إلى قسمين:

الإحالة القبلية: هي التي تعود على سابق التلفظ به.

الإحالة البعدية: هي تعود على عنصر مذكور بعدها في النص.

أما الإحالة الخارجية: فهو ما نسميه بالمقامية.

من عناصر السبك الإحالية:

الضمائر الشخصية: (أنا، نحن، أنت، هو، هم ... الخ)

أسماء الإشارة: (هذا، هؤلاء، أولئك .... الخ)

الأسماء الموصولة:(الذي، التي... الخ)

الإحالة الضميرية:

هناك مبحث مهم يتعلق بالربط النحوى: "الضمائر في القرآن الكريم" هذا أصلا يتعلق بمسألة السبك و الحبك، فإن العرب يلجأون إلى الضمائر فرارا من التكرار و تطويل

الكلام، و تنبهوا إلى أن الضمائر وسيلة من وسائل الاقتصاد في الكلام. و تتجلى أهمية الضمائر في نيابتها عن الأسماء والأفعال والجمل، وكما تبرز هذه الأهمية في معاملة ارتباطها بين أجزاء النص وفي احتوائها الشكل والمضمون يعنى ثنائية اللفظ و المعنى، داخل النص و خارجه. هذا لايتوقف على الضمائر الشخصية فحسب، بل تضمن كذلك الضمائر الإشارية والموصولية، لأن وظيفة هذه الأخيرة تشبه وظيفة الضمائر الشخصية تماما.[5]

والضمائر الشخصية عند النحاة هي: (ما وضع للمتكلم، أو مخاطب، أو غائب تقدم ذكره لفظا أو معنى أو حكما).([6]) والضمير يعد من المعارف في العربية وقد بين علته سيبويه قائلا: وإنما صار الإضمار معرفة لأنك تضمر اسما بعد ما تعلم أن من يحدث قد عرف من تعني و ما تعني، و أنك تريد شئا يعلمه.[7]

وكذلك قسم العلماء الضمائر إلى ثلاثة أقسام هي:

1. الضمائر المتصلة.
2. الضمائر المنفصلة.
3. الضمائر المستترة.

وقد اكتسبت الضمائر أهميتها عند الرضي وابن هشام لكونها من وسائل الارتباط بين المكونات النصية أو من روابط أجزاء الكلام بعضه ببعض. قال الرضي: و إنما احتاجت إلى الضمير، لأن الجملة في الأصل كلام مستقل، فإذا قصدت جعلها جزء الكلام فلابد من رابطة تربطها بالجزء الآخر، و تلك الرابطة هي الضمير.[8]

وكما اعتبره ابن هشام من أدوات الربط بين أجزاء الكلام فمثلا قوله: روابط الجملة بما هي خبر عنه ... أحدها الضمير، وهو الأصل، ولهذا يربط به مذكورا (كزيد ضربته) و محذوفا مرفوعا نحو: (إن هذان لساحران) إذ قدر (لهما ساحران).[9]

تنبهنا إلى أن الضمير هو وسيلة مهمة من وسائل الربط الكلامي، وشرط الإضمار عند الدكتور تمام حسان هو الترادف التام بين المعنى و المشار إليه، و إذا كان الأمر يعكس هذا الترادف يكون الإظهار أفضل حينئذ من الإضمار.

ومن الأمثلة القرآنية قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.(10)

فهذا نص به رسالة وقد اعتمد أجزاء هذا النص بعضها على بعض، واشتمل على التركيب المحورى بنيت عليه بقية التراكيب، فتحقق بذلك الدائرةالنحوية. والرسالة التى فى هذا النص هى أن الله هو المتحكم فى أفعال البشر وهو متوفيهم وباعثهم يوم القيامة. التركيب المحورى هو بناء الجملة من عنصرين يرجعان إلى الله {هُوَ الَّذِي} {فهو} ترجع إلى الله،الضمير المنفصل (هو) إشارة إلى ذات الله تعالى. والأفعال التى جاءت بعدهذا تعود أيضاً إلى الله سبحانه وتعالى، فهذه هى الدائرة النحوية. والإحالة الموصولية { الَّذِي} تقوم بالربط بين السابق واللاحق.

وكذلك قوله تعالى: { جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ()}(11) و{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا () وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا () لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا () وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا () وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا () وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا}.(12)

نلاحظ أن الآيات الكريمة تحتوى مجموعة من الضمائر، و بها تماسكت الآيات و ارتبطت عناصرها بعضها ببعض، حيث نجد بعض الضمائر تحيل إلى السياق التداولي و بعضها تحيل إلى خارج بنية النص.

يتوجّه هذا النّص القرآنيّ بالخطاب إلى عباد اللّه و بتعريف الناس بربهم، فيذكّرهم بآيات اللّه وآلائه عليهم ليتدبّروها ويشكروا خالقهم على نعمه كلّها، لتصل هذا التعريف إلى تعبيد الناس لربهم الواحد والمتفرد بالألوهية.

إن الضمير المنفصل (هو) قد ورد في صدر الآيات، و لكن نجده غائبا عن الدائرة الخطابية، و أسندت إليه بعض الأعمال الإلهية، فمثلا منها:

مد الظل، إرسال الرياح، إنزال الماء، إحياء البلدة الميتة، تصريف الخالق المطلق في شؤون الكون كلها...الخ. كلّ هذه المسندات ترتبط بعنصر إشاريّ واحد وهو ذات اللّه سبحانه وتعالى فكلّ الضّمائر الّتي تحيل إلى اللّه سبحانه وتعالى فإحالتها خارجيّة مقاميّة. إنّ الإشارة بضمير منفصل إلى اللذّات الإلهيّة يؤكّد هيمنة اللّه سبحانه وانفراده بالملكوت،[13]. ثمّ اجتلبت بالإحالة الموصولية (الّذي) للرّبط بين السّابق واللاّحق بحيث يشير إلى ارتباط كلّ شيء باللّه، و هذا نوع من الإحالة تسمى إحالة نصية قبلية.

وكذلك قوله تعالى:{ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}.[14]

تحقّق فى هذه الآية معيار السّبك النحوى أو التماسك النحوى أو البنية التركيبية،أو بعبارة ثانية في هذا النص الكريم تحقّق الاعتماد النّحوى يعني الدّائرة النّحوية، فطرفاها هذا ما نُسمّيه ضمير الشّأن أو القصّة أو الإحالة البعدية،هذا هو الطّرف الأوّل للدّائرة النّحوية، الضّميرفي { إِنَّهَا}.

أمّا الطّرف الثاني فهو بقيّةُ الآيةيعني ما يعود عليه ضمير الشّأن. و الطّرف الثّاني هو هذه الحقيقة الكونية الرّاسخة.

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ () هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ () وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ }.[15]

قد ورد الضمير (هو) في سورة الأنعام أكثر من مرات، و يعود في إحالته القبلية على الآية الأولى { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} و إحالته على لفظة الجلالة (الله) من قوله {الحمدلله)، لأن ضمير الفصل لا يقع بعد حرف العطف، وهذا الربط يحكم بنية النص ويجعلها نسيجا

واحدا، ويعود إلى موضوع السورة وهو قضية الألوهية. وإفادة هذه الإحالة الضميرية عند ابن عاشور هو الإخبار بأن الخالق والقاضي وصاحب القدرة والقهر والسلطان وهو ذات الله عزوجل، واكتسبت هذه الإفادة من معاد الضمائر أو مرجعيتها.[16] إمامنا السيوطى لجأ إلى الآية الكريمة لكي يثبت هذه الفكرة ويدلل عليها من القرآن الكريم. {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ.....أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا }[17] الضمير "لهم" هنا قام لثلاثة وظائف، وكلها وظائف متكاملة. الوظيفة الأولى وظيفة إعرابية، هذا الجار و المجرور في قوة المفعول به، هذه وظيفة نحوية، و الوظيفة الثانية هي وظيفة الربط حيث عاد هذا الضمير إلى عشرين كلمة مجموعة، و عدوا الضمير معناها ربط الكلام بعضه ببعض، الضمير ربط جملة الخبر بجملة المبتدأ، بدون الضمير يكون الكلام ناقصا ولا يكون مرتبطا بعضه بعضا،، إن الضمير أغنانا وكفانا مهمة إعادة ذكر هؤلاء الناس مرة أخرى، وهذا معنى كون الضمير وسيلة من وسائل الاقتصاد في الكلام.[18] ومن هنا ركزوا حديثهم عن ضمير الغيبة لأن ضمير الغيبة لا بد أن يكون له مرجع يعود عليه بهذا يتحقق الربط لأن الضمير بطبيعته مبهم، و ضمير الغيبة أشد إبهاما من غيره من الضمائر، فإذا ماحدد مرجعه يتحقق شيئان:

1. يتحقق الربط النحوى
2. ويتحقق بيان المراد من ضمير الغيبة.

وفي الحديث عن مرجع الضمير في القرآن الكريم هذا موضوع كبير، نجد علماء علوم القرآن يقدمون بعض الأفكار الرئيسية من ذلك مثلا أن مرجع الضمير في الغالب يتسم بثلاث سمات:

1. أن يكون ملفوظا به.
2. سابقا له.
3. ومطابقا إياه في العدد والنوع هذا هو شأن مرجع الضمير.[19]

لكن هذه السمات أو بعضها قد لا يتحقق فمثلا قد لا يكون مرجع الضمير ملفوظا به بل قد يكون متضمنا كما قوله تعالى: { اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى }[20] فالضمير هنا لم يسبق باسم ظاهر، وذكروا أن مرجعه هو العدل المتضمن الفعل (إعدلوا) هو (العدل)، وأنه (الضمير) هو إحالة قبلية ربطت بين الجملة الواردة فيها والجملة السابقة لها من خلال رجوعه على المحيل إليه وهو العدل[21] أو قوله تعالى { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ }[22] فقد ذكر في الآية شيئان "الصبر والصلوة" والضمير الموجود بعدهما حقه أن يكون مثنى (وإنهما)، ولذلك قال بعضهم إن الضمير هنا يعود على الاستعانة المفهومة من الفعل (اسْتَعِينُوا }. كذلك قد يعود الضمير على متأخر سواء كان هذا المتأخر ملفوظا أو ملحوظا مثلا في قوله تعالى: {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى }،[23] نجد الضمير في (نفسه) يعود على موسى المتأخر. كما قال النحاة لفظا لا رتبة، وضمير الشأن أشهر الضمائر التي تعود على المتأخر إلا أن هذا المتأخر يكون جملة لا مفردة، حتى إن الكوفيين سموه ضمير القصة، يعنى الضمير يعود على كل ما يذكر بعده، وقد يكون هذا المتأخر ملحوظا [24]كما في قوله { فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ }.[25]

ويتفرع عن هذه الفكرة "الضمير ومرجع الضمير" ما ذكروا بفكرة" وضع الاسم الظاهر موضع الضمير". فما فوائد وضع اسم ظاهر موضع الضمير ؟ قدموا عددا من الفوائد منها.

1.زيادة التقرير:

كما في قوله تعالى { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ () اللَّهُ الصَّمَدُ ()}[26]. وقد "الله" موضع "هو" ليقرر صمدية الله ويمكنها في نفوس المؤمن، كان يمكن أن يكون "هو الصمد"، ولو فعل هذا كان الأسلوب قويا، لأن من معاني لفظة "هو" أنها اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى مثل {هو الأول والآخر والظاهر.. }. لو نقول (هوالصمد) لكان الكلام قويا، لكن لفظ الجلالة (الله) هو أعرف المعارف، يعنى (الله) أقوى دلالة من (هو)، النحويون

كانوا يرتبون المعارف، عندهم أعرف المعارف الضمير المتكلم، لا الغائب، لكن عندهم عبارة جميلة (أعرف المعارف بعد اسم الجلالة).[27]

فائدة وضع الاسم الظاهر موضع الضمير هي التلذذ بذكر اسم الله.

2: ومن فوائدها إزالة اللبس والغموض:

ففي الآية { فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ.. }[28]. لما أراد يوسف عليه السلام أن يكشف ما فعل أخوه، لو ذكر الضمير بدل الظاهر لتوهم عود الضمير إليه، لذلك لم يقل من وعاءه، لو قال هذا لفسد المعنى إذ يتوهم من هذا أن يوسف عليه السلام كان له وعاء، و إخراج هذا الشيئ من وعاء يوسف، يفسد المعنى المراد.[29]

3: منها تعظيم الأمر:

{أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا فِي الأرض كيف بدأ الخلق}.[30]

4: كذلك من الفوائد "التوصل إلى ذكر النعوت". أو قصد التواصل من الظاهر إلى الوصف:

في نحو الجملة نقول الضمير لا يُنعت ولا يُنعت به، هذه مقولة من مقولات نحو الجملة، فإذا كان المقام مقام ذكر النعوت الكثيرة يليق بها أن يسبق باسم ظاهر، لا أن تسبق بضمير، لأننا لو ذكرنا الضمير لا نستطيع أن نذكر النعوت بعده، ولذلك ذكر العلماء من فوائد وضع اسم ظاهر موضع الضمير، " التوصل إلى ذكر النعوت "([31]).

كما في قوله تعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }[32] (رسول الله) عندنا هنا مضاف و مضاف إليه كالشيئ الواحد، بدأ بوصف لفظ الجلالة ثم بدأ يصف في المضاف إليه (الذى له ملك السموات والأرض) انتهى الكلام عن المضاف إليه، (فآمنوا بالله) لو قال

آمنوا (بالله وبي) لوقفت الجملة، وهذا لتمكين من إجراء الصفات التي ذكرها، لأن الضمير لا يحتاج إلى شيئ بعده لكن هو يريد أن يصف نفسه بهذه الأوصاف الثلاثة. ولذلك نلاحظ في آخر الآية لما لم يرد أن ينعت عاد إلى ذكر الضمير {واتبعوه} يعنى اتبعوا الرسول.(33)

5: من الفوائد "التنبيه على عليّة الحكم":

كما قوله تعالى: { فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ.(34) لم وضع الظاهر بدل الضمير؟ ليدل على أن سبب إنزال العذاب هو ظلمهم كرّر الله تعالى { الَّذِينَ ظَلَمُوا } ليُفهمنا أن سبب إنزال الرجز عليهم وهو العذاب أنهم كانوا ظالمين.

يوضع الظاهر موضع الضمير لأنه يتحمل ضميرا لابد منه:(35) مثلا في سورة الكهف: {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا..}،(36) نلا حظ تكرير كلمة "أهل" نحن عندنا أمران: أمر نحوى و أمر دلالي.

الأمر النحوى هو أن عندنا كلمة (قرية) نكرة نعتت بجملة، و إذا جاء النعت جملة لا بد أن يكون الضمير يعود على المنعوت، فكان المفروض { حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَاها }، لو كان فعل هذا لوفى الأمر النحوى، لكن سيرتب عليه الإخلا بالجانب الدلالي، لأنهم في الحقيقة أو هما لم يستطعما القرية، بل أهل القرية، وكان الحق (استطعماهم)، إذا كان (استطعماهم) لأخل الأمر النحوى، ولو ما راعى الأمر النحوى و قال استطعماها، لأخل بالأمر الدلالي. إذن ذكر الضمير هنا في حالة (استطعماها) توفية للجانب النحوى لا يجوز، ومرة أخرى (استطعماهم) توفية للجانب الدلالي، جائز دلاليا ولا يجوز نحويا، يترتب على كلا الأمرين الإخلال بالأمر الآخر، فكان لابد من تكرار (أهل) توفية للجانب الدلالي والنحوى، وبهذا استقام الكلام نحويا ودلاليا.(37)

وهناك مبحث آخر في الضمير ذكره علماء علوم القرآن من واقع ما عليه أسلوب القرآن الكريم، وقالوا إن مرجع الضمير قد يكون من ألفاظ العموم، مثل أسماء الموصول

وأسماء الاستفهام وأسماء الشرط، مثل ألفاظ "كل وبعض"، وألفاظ العموم خاصة الألفاظ المبنية منها مثلا "من وما" هي من حيث اللفظ مفرد مذكر، ومن حيث المعنى بدل على العموم الجمع. وهنا ذكروا أنه إذا اجتمع في الضمائر مراعات اللفظ والمعنى بدئ أولا باللفظ، ثم بالمعنى، هذا ما عليه أسلوب القرآن في آيات كثيرة.([38]) و مثل قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ }[39] وعندنا لفظة "من" وهي اسم موصول، وقد عاد عليها الضمير من صلتها مفردا مذكرا يقول، اتباعا للفظ معا، ثم عاد عليها الضمير مرة أخرى جمعا، "وماهم" إتباعا لمعناه، فبدئ بمراعاة اللفظ أولا، ثم روعى المعنى ثانيا.

ومثال آخر في قوله تعالى: { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا..}[40]. و"من" من حيث اللفظ مفرد مذكر، و أول ما عاد عليها الضمير عاد مذكرا ضمير في "يستمع"، ثم عادت عليها كل الضمائر المذكورة بعد ذلك جمعا كما في "قلوبهم، يفقهون، آذانهم " هذا ما عليه استعمال الجادة في القرآن الكريم.[41]

نبدأ باللفظ ثم ننظر إلى المعنى و هذا البحث في "مرجع الضمير بين اللفظ والمعنى" يدخل في موضوع نحو النص مما سبق، لأن الحديث هنا عن مرجع الضمير في النص كله، وليس في الجملة فقط، أحيانا أنهم كانوا يؤولون منهج الإحصاء، ومما ذكروه قالوا: لم يجئ في القرآن الكريم البداءة بالحمل على المعنى إلا في موضع واحد([42]). وهو قوله تعالى: { وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا..}[43] هذه "ما" من ألفاظ العموم، من حيث اللفظ مفرد مذكر لكن لما أخبر عنها أول بالمؤنث "خالصة" ونحن نعرف أن الخبر إذا كان مشتقا يكون به الضمير، فالضمير جاء مؤنثا و الخبر نفسه مراعاة لمعنى "ما "، لأن ما في بطون الأنعام قد يكون ذكرا و قد يكون أنثى، فعاد الضمير أولا حسب المعنى ثم بعد ذلك حسب اللفظ "محرم"، وبعض الآية { وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ..} وتعتبر الآية حسب اللفظ.[44]

الإحالة الإشارية

يعتبر النحاة الأسماء الإشارة الوسيلة الثانية من الوسائل الداخلة في نوع الإحالة فمنها ما يدلّ على الزمان (الآن وغدا)، ومنها للمكان (هنا وهناك)، ومنها للبعد (ذلك وتلك)، ومنها للقرب (هذه، هذا) فهي تقوم بالربط القبلي والبعدي ومن ثَمّة تسهم في اتساق النص[45] ويتضح دورها في تماسك النص القرآني في عديد المواضع منها:
في قوله تعالى: {هُوَ الَّذي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فيه تُسيمُونَ، يُنبتُ لَكُم به الزَّرْعَ وَالزَّيتُونَ وَالنَّخيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ.[46]

وردت هذه الآيات في التذييل القرآني، وصبت في قالب تركيبي واحد، واشتملت على عنصر إشاريّ نصّيّ واحد فقط (ذلك)، وتضمنت رؤوسها عناصر إشارية معجمية شتى، وهذا يتمثّل في الآية الأولى مثلا عناصر معجمية في الرأس (السّماء، شراب، شجر، الزّرع، الزّيتون، النّخيل، الأعناب، الثّمرات)، بينما يتمثّل التذييل في الملفوظ السّابق على العنصر الإحالي وهو اسم الإشارة (ذلك) حيث ورد هذا الأخير اختزالاً للكلام واقتصاداً للجهد واجتنابًا للتّكرار حين أحال إلى ملفوظ يحتوي عناصر إشاريّة معجميّة ومجموعة أحداث تلتقي كلّها في نتيجة ينبني عليها الحدث أو المعنى الّذي يحيل عليه العنصر الإحاليّ الجامع لكلّ ما تقدّم عليه.

من حيث الحبك النصي هذا النوع من التكرار لم يكن من العبث، لأنه ورد في مقام مناسب له يشترك مع الآيات في مضمونها، والقصد من هذا التكرار توكيد المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي.[47]

الإحالة الموصولية:

يعتبر الاسم الموصول وسيلة من وسائل التماسك النصي، لأنّه لا يتم بنفسه و يفتقر إلى وجود جملة بعده و يقترن بها برابط ما، ليتم اسما بعده اتمامه يكون مثل بقية الأسماء، فيجوز أن يكون فاعلا أو مفعولا به.[48] وصلته عادة جملة فعلية، وتؤدي

الموصولات وظيفة السبك النصي عن طريق العطف على هذه الجملة بعدة جمل فيطول الكلام، ويكون نصًا كاملا، ويظل مرتبطًا كله بالاسم الموصول الأول. ومن ناحية أخرى يعد الموصول أداة من أدوات الإحالة فيرتبط بمذكور سابق، وقد يتكرر بصورة واحدة، ويظل مرتبطًا بهذا المذكور السابق محدثًا نسقًا واحدًا للنص كله.(49) ومن ذلك ما وردت في القرآن الكريم في بيان واحدانية الله في صفاته وذاته.

قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ() وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ() وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً...}.(50)

وهنا تكرر الموصول الفردي "الذي" و نجده كثيرا ما يتكرر في بيان صفات لله عز وجل في مقام إثبات ألوهيته ووحدانيته ونعمه سبحانه على خلقه، و في أكثر الأحيان ما يتصل بالضمير "هو" مكونًا معه رابطة نصية قوية مع إفادة التخصيص والتوكيد.

ومنه قوله تعالى عزوجل: {أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً... }.(51)

{وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ...}.(52)

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.(53)

ففي هذه الآية دعوة الله للناس بعبادته وحده في قوله "اعبدوا ربكم وهذا يدل على وحدانيته، ولو أريد غير الله لقيل اعبدوا أربابكم فلا شك كان قوله "اعبدوا ربكم " صريحا في أنّه دعوة إلى توحيد الله ولذلك فقوله "الذي خلقكم" زيادة على كون اسم الموصول الذي يعود إلى ذات الله وهو المحيل إليه (ربّكم) فهو أيضا زيادة بيان لما اقتضته الإضافة من تضمّن معنى الاختصاص بأحقيّة العبادة.(54)

العطف:

تعد أدوات العطف وسيلة هامة من وسائل التماسك النصي أو من الروابط النحوية والدلالية، وهي تؤدي إلى استمرارية النص وصلابته وإلى وحدته الموضوعية وسلامته التركيبية. تتماسك بها الجمل، تترابط ترابطا حميما، وتجتمع بعضها مع البعض الآخر، وهكذا يظهر التماسك النصي.

وكذلك يعد العطف من وسائل علاقة الاتساع والاقتصاد اللغوى، علاقة اتساع حيث تتكون بها علاقات نصية جديدة في ارتباط العناصر اللغوية والجمل النصية بغيرها من العناصر والجمل. وكذلك تكتسب بها علاقة اقتصاد حيث يشترك بناء التركيب الثاني مع السابق في الحكم فتأتي أداة العطف عوضا عن تكرار الحكم المسند للعنصر اللغوى.(55) فوظيفة العطف إذن هي: وصل الكلام بعضه ببعض، مع عدم التشريك التام في الحكم، حيث نجد عطف المنفي على المثبت والإنشاء على الخبر.(56)

اهتم العلماء القدماء والمحدثون بوسائل التماسك النصي اهتماما شديدا. **فورد في البيان والتبيين** "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فيعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا جيدا وسبك سبكا واحد ا، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان".(57) وتعريف الانسجام عند ابن **أبي الاصبع المصري** وهو" أن يأتي الكلام متحدّرا كتحدّر الماء المنسجم بسهولة سبك وعذوبة ألفاظه، وسلامة تأليف، حتى يكون للجملة من المنثور، والبيت من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس بغيره.(58)

قد أشار إلى أهميتها هاليدى ورقية حسن في مؤلفهما "التماسك في الإنجليزية" كل جملة تحتوى على الأقل على أداة واحدة من الروابط ترتبط بها بما حدث مقدما، ومن الجمل ما تحتوى على أداة الربط و ترتبط بها بما سوف يأتي.(59)

اعتبر النحاة الكلام غير مفيد إذا كان مجتمعا بعضه مع البعض الآخر دون ترابط.(60)

قد قسم النحاة العطف على قسمين:

1. عطف البيان:

عرفه ابن السراج قائلا "اعلم أن عطف البيان كالنعت والتأكيد في إعرابهما وتقديرهما، وهو يبين لما تجريه عليه كما يبنيان، وإنما سمي عطف البيان ولم يقل أنه نعت، لأنه اسم غير مشتق من فعل، ولا هو من تحلية، و لا ضرب من ضروب الصفات فعدل النحويون عن تسميته نعتا وسموه عطف البيان لأنه للبيان جيء به وهو مفرق بين الإسم الذي يجري عليه وبين ما له مثل اسمه نحو: رأيتُ زيداً أبَا عمروٍ ولقيت أخاكَ بكراً ".[61] إن معناه عند ابن جنى هو "أن تقيم الأسماء الصريحة غير المأخوذة من الفعل مقام الأوصاف المأخوذة، يعنى هو يفرق بينه وبين الصفة.[62]

2. عطف النسق:

وهو العطف بالحروف كالواو و الفاء وأو وغيرها، و بها يعطف الاسم على الاسم، أو الفعل على الفعل، أو الجملة على الجملة، أو الظاهر على الظاهر، أو المضمر على المضمر، ويتوسط أحد حروف العطف بينهما، ويشترك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم، حيث يعنى بالعطف الاشتراك في تأثير العامل.[63] كما قال الرضي: المعطوف في حكم المعطوف عليه فيما يجب له و يمتنع عليه.[64] والمتأمل في هذين القسمين للعطف يلاحظ أن عطف النسق هو الذى يؤدي دوره في التماسك النصي باستخدام أدوات الربط، يرتبط بها الأول بالثاني. و هذا هو يتعلق بنحو النص، يعنى عطف الجملة على الجملة. يمكننا أن نسميه بالعطف النصي.

العطف النصي:

ينجز النص عند التلفظ به، ويتخذ حيزا يكون به كائنا مستقلا بنفسه، فيحل بذلك في الزمن والمكان، وهو من حيث هو علامات دالة – كائن مركب من جمل، لا

يدرك بالفكر إلا منظما مرتبا، والترتيب الأول هو خطية النص، إذ ترد جمله في تتابع قسري.(65)

رأى ابن يعيش: "والغرض من عطف الجمل ربط بعضها ببعض و اتصالها والإيذان بأن المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية من الأولي والأخذ في جملة أخري ليست من الأولى في شيء، وذلك إذا كانت الجملة الثانية أجنبية من الأولى غير ملتبسة بها و أريد اتصالها بها فلم يكن بد من الواو لربطها بها".(66)

معاني حروف العطف:

"الواو" لمطلق الجمع و الإشراك ولا تفيد الترتيب و لا التعقيب إفادتها الترتيب مع التعقيب حقيقةً أو مجازاً" الفاء" للترتيب مع التراخي حقيقةً أو مجازاً" ثُمّ" وتأتي على وجهين "بل" للإضراب والعدول عن شيءٍ إلى آخر بعد كلامٍ مثبت خبراً كان أو أمراً للاستدراك بمنزلة "لكن" إذا وقعت بعد نفي أو نَهْي للاستدراك" لكن" بعد المثبت، وهي تفيد تأكيد إثبات الحكم لما قبلها، ونَفْيُهُ عمّا بعدها "لا" وتأتي على وجهين "أم":

"أَمْ" المتصلة: وهي الّتي يكون ما بعدها متصلا بما قَبْلَها، ومشاركاً له في الحكم، وتقع بعد همزة الاستفهام مثل: "أعلي في الدار أمْ خالد؟" أو بعد همزة التسوية، مثل: {سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ}، وسُميتْ متّصلة لأن ما قبلها وما بعدها لا يُستغنى بأحدهما عن الآخر(67).

"أَمْ" المنقطعة: وهي التي تكون لقطع الكلام الأوّل واستئناف ما بَعْدَه، ومعناه الإضراب،(68)

من أمثلة العطف بالواو: قوله تعالى:{ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ(69) ارتبطت الجملة الأولى من هذه الآية بقوله تعالى { فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ } وهكذا ارتبطت أربع جمل داخل البنية.(70) والمتأمل يلاحظ هنا أن الخبرية

قد عطفت على الإنشائية و الاسمية على الفعلية، و هذا النوع من العطف خاص بالواو.[71]

ومن أمثلته بأو: قوله تعالى { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ }.[72]

إن الجملة (يأتي ربك) معطوفة على جملة أن تأتيهم الملائكة)، الجملة (يأتي بعض آيات..) معطوفة على (يأتي ربك). كما نعلم إن دلالة "أو" تكون على أحد الشيئين أو الأشياء، و هذه الدلالة قد ظهرت هنا حيث ارتبطت الجمل بعضها ببعض مع بقاء الدلالة على أحد الشيئين.[73]

الإشارة هنا إلى أن الجمل المتعاطفة تكون مترابطة فيما بينها بحرف العطف حين يكون بينها مناسبة أو علاقة من نوع ما. ويتفرع من هذا مبحث بلاغي آخر سماه البلاغيون بـ"**الوصل والفصل**".

الوصل والفصل:

يُعنى بالوصل الربط بين أجزاء الكلام بحرف عطف، ويراد بالفصل عدمُ الربط بين أجزاء الكلام بحرف عطف. في دلائل الإعجاز: اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها، و المجيئ بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، و مما لا يأتي لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص، و الأقوام طبعوا على البلاغة و أتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد، و قد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عن البلاغة فقال: معرفة الفصل والوصل،[74] الوصل هو عطف جملة على جملة أخرى بالواو، أما الفصل فهو ترك هذا العطف.

من مواضع الوصل:

قوله تعالى {فَسُبْحَانَ اللّه حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ () وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ () يُخْرِجُ الْحَيّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ }.(75)

إنَ الْجمل قد عطفت على سَوَابقها في هذا المقام لَيْسَ فيها كمال اتصال وَلاّ شِبْهُه، ولا كمال انقطاع وَلاَ شِبْهُه، مع وجود جامع يُحَسِّنُ العطف بالواو، إنَّ التسبيحَ مغايرٌ للحمد، لأنّ معنى "سبحان الله" أُنَزِّه الله عمّا لا يليق به من صفات، ومعنى: "الحمد لله" أُثْبِت لله كلّ صفات الكمال التي تقتضي الثناء عليه بها، ومع هذا التغاير فإنّ بينهما تلاؤماً فكريّاً لأنّهما متكاملتان حول صفات الله عزّ وجلّ، والجملتان هما أيضاً خبريّتان لفظاً ومعنى، فَحَسُنَ عطف التالية منهما بالواو على السابقة. وكذلك نقول في الجمل الواردة في الآية (19) إذ عُطِفَتْ الثلاثة الأخيرة منها على الأولى: {يُخْرِجُ الْحَيّ مِنَ الْمَيِّتِ} لوجود التغاير بينها مع التلاؤم الفكري. إنّ إخراج الميت من الحيّ (البيضة من الطائرة) مغايرٌ لإخراج الحيِّ من الميت (و الطائرة من البيضة) وملائم له، إذْ هما مظهران من مظاهر قدرة الرّبَ الخالق جلّ وعلا، وكذلك إحياء الأرض بعد موتها، وكذلك البعث يوم الدّين. فاقتضى التوسط بين الكمالين مع التلاؤم وكونها جملاً خبرية لفظاً ومعنى عَطْفَها بالواو العاطفة.(76)

من أسباب الفصل:

1. "كمال الاتصال": يعنى اتحاد تام بين الجملتين، أن تكون الجملة الثانية توكيدا للأولى، أو بيانا لها، أو بدلا منها.
2. "كمال الانقطاع": يعني تباين تام بين الجملتين، و ذلك بأن تختلفا خبرا و إنشاء أو بألا تكون بينهما مناسبة.
3. "شبه كمال الاتصال": أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الأولى و يقال حينئذ بين الجملتين شبه كمال الاتصال.(77)

من مواضع الفصل:

في كمال الاتصال قوله تعالى {فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ () وَاتَّقُواْ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ () أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ () وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ }.[78] فالأنعام والبنون والجنات والعيون هي بعض ما أمدّهم به مما يعلمون، وفائدة هذا البدل ذكر بعض العناصر مفصلة لأهمّيتها عند المخاطبين، بعد ذكرها بشكل مجمل.

شبه كمال الاتصال: قوله تعالى: { قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ () قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ () قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ () قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ}[79] جاء كل ذلك على تقدير السؤال و الجواب، و التقدير لا يخفى.[80]

من أمثلة كمال الانقطاع: قوله تعالى: { اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} الظاهر يقتضي أن يكون { اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ }معطوفا على قوله { إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ..} و ذلك أنه ليس بأجنبي منه بل هو نظير ما جاء معطوفا من قوله { يُخَادِعُونَ اللَّهَ } و لكنه جاء غير معطوف لأمر واجب ألا يعطف و هو قوله { إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ..} حكاية عنهم و ليس بخبر من الله. { اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ } خبر عن الله أنه يجازيهم عن كفرهم و يستهزئ بهم، فلو عطف لخرج عن كونه خبرا عن الله و صار خبرا عنهم، ففي هذه الحالة ترك العطف واجب بين الجملتين، وتُرك ولم يقل "والله يستهزئ".[81] قد لاحظنا أن العطف يؤدي دورا كبيرا إلى السبك النصي عن طريق قوة الربط بين الجملتين أو أكثر، ويستقيم به نظم الكلام معناه ومقتضاه.

والله أعلم بالصواب.

الهوامش

1- Holliday and .Cohesion in English (London Longman 1976). P. 45 ، Ruqayya Hassan

2- جوهري ،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تح: عبد الغفور عطار، (بيروت لبنان :دار العلم للملايين، 1990م).
،جـ 4- مادة حول ، ص1679.

Jawhari, Ass seeha Taaj u Lugha W Seeha Al Arabiya, Tehqeeq: Abdul Gafoor Attar, (Beruit,Dar ul ilm Lil Malyeen),1990, volume 4,p.no1679.

3 ينظر: المركز الثقافي العربي ،لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، (المغرب ،الدار البيضاء ، ط 2 ، 2006) ص 16- 19.

Almarkaz As saqafh,Al Arabi, Lissaniyat u Nass, Madkhal ILa Insijaam mul khitaab,(Almagrib, Adaar ul baizaa) Volume 2,2006, pno,16.

4 - نقلا عن : لبراون ويول، حيل الخطاب، ترجمة وتحقيق دزمحمد لطفي الزليقي ، ود.منير التركي (الرياض المملكة العربية السعودية ،جامعة الملك سعود ، ط 1997 م) ،ص 36.

Librawan vieol, Hailul khitaab, Tarjuma wTahqeq, D Muhammad Lutfi AZaileqi,wa D Muneer Atturkry,(Riyadz Al Mamliqa Ass Saudia Al Arabia, Jamia, almalik saood),E1997,pno36.

5 - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. (القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 2000م). 137_1/138

Subhee Ibrahim Alfiqhi, Ilm Lugha al nessi baina Al Nazriya Watatbeeq(Al Cahira, Dar Qubaa Lit Tabbati wnn Nashr wt Tuzeeh, Edition1,2000)Pno, 1/137- 138

6 - الرضي، شرح الرضي على الكافية . تح : يوسف حسن عمر ، (طهران، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ط 2 ،). ص 1/401

Sharho Al Razi ala Alkafie, tahqeeq: Yousf Hassan Umar,(Tehraan, Moiesstu Assadiq lit tabaati wnnashr volume2) p no:1/401.

[7] - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب ، تح : عبد السلام محمد هارون ، ط 3 1988 ، ص 2/6.

Seebavaih, Abu Bashr, Umar Bin Usman Bin Qunbar, Alkitaab, Tehqeeq, Abdul Salaam Muhammad, Haroon, Edition 31988, PNO 2/6.

[8] - شرح الرضي 238/ 1.

Sharho Al Razi, 1/238.

[9] - ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت – لبنان، دار الكتب العربي) ، ص 465.

Ibn Hishaam Al ansaari, Mugne Allabeeb An Kutub ALaareeb,Tehqeeq, Muhammad Mohideen Abdul Hameed,(beruit, Darul kutub ALarabi) p no465.

[10] - سورة الأنعام: 60.

Surat alanaam: 60.

[11] - سورة الملك: 15.

Surat Al muluk:15

[12] - سورة الفرقان: 47-50، 53-54.

Surat Al furqaan: 47,50,53,54.

[13] - ينظر : محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير(لبنان، دار الفكر، ط 1) ج 19 ص 52.

Muhammad Tahir Ibn Asooor, Athreer Wttanveer (Lebanon,Darul Fikr Edition 1) volume19,p no52.

[14] - سورة لقمان: 16.

Surat Luqmaan:16

[15] - سورة الأنعام: 1-3.

Surat alanaam:1,3

[16] - الحرير والتنوير محمد الطاهر ابن عاشور، ص 7/132.

Muhammad Tahir Ibn Asooor, Athreer Wttanveer,7/132

[17] - سورة الأحزاب: 35.

Surat Alahzaab:35

[18] - ينظر : مغني اللبيب 1/51، الإتقان في علوم القرآن 2/334.

Mugne Allabeeb An Kutub ALaareeb,1/51. Al Itiqaan Fi Uloom Al Quran,2/334.

[19] – إمام بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن تح: أبو الفضل إبراهيم ؛ (بيروت دار المعرفة ط 2)، ص 4/26-25.

Imam Badr U Din Azarkashi, Al burhaan Fi Uloom Al Quran, Tehqeq Abu Al fazal Ibrahim,(Beirut Dar ul Marifah Edition2), vol, 4,p no25-26

محمد بن علوي المالكي الحسني زبدة الإتقان في علوم القرآن، ؛ (جدة دار الشروق، طبعة 3، 1986م) ص 61.

Muhammad Bin Almaliki Alhussni, Zubdat Al Itiqaan Fi Uloom Al Quran(Jeddah Dar Alshrooq Edition 3, 1986) p no61.

إمام جلال الدين السوطي، الإتقان في علوم القرآن ، تح : أبو الفضل إبراهيم ،(منشورات زاهد) : ص 334- 2/335.

Imam Jalal u Din Assayooti, Al Itiqaan Fi Uloom Al Quran, Tehqeq, Abu Alfazal Ibrahim(Manshoraat Zahid) vol,2,p no334-335.

[20] - سورة المائدة:8.

Surat Al Mayeda: 8.

[21] - ينظر: التحرير و التنوير 6/135.

Athreer Wttanveer, vol 6, pno 135.

[22] - سورة البقرة: 45.

Surat AL Bakarah:45

[23] - سورة طه: 67.

Surat Tahaa:67

[24] - ينظر : السيد قاسم الحسيني الخراساني ومحمود الإصفهاني، القواعد النحوية (الناشر مديرية العامة للحوزة العلمية ط 1) ص 36.

Assayed Qasim Alkharasani w Mehmood Al Asfahaani, Alqauaid Annahviya(Mudeera Alaamah Lil hiwzat ul Ilmiya, Edition1) p no36.

[25] - ينظر: البرهان في علوم القرآن 26، 30 \4 ، الإتقان في علوم القرآن 334- 335 -336 \2.

Al burhaan Fi Uloom Al Quran, vol 4 p no26- 30, Al Itiqaan Fi Uloom Al Quran,Vol,2,p no 334, 335, 336.

[26] - سورة الإخلاص: 1-2.

Surat Al Ikhlaas: 1-2.

[27] - الإتقان في علوم القرآن 3/244.

Al Itiqaan Fi Uloom Al Quran, vol,3, pno 244.

[28] - سورة يوسف: 76.

Surat Yousf:76.

[29] - الإتقان في علوم القرآن 245،246 /3.

Al Itiqaan Fi Uloom Al Quran, vol,3, p no, 245,246.

[30] - سورة العنكبوت: 10-20.

Surat Alankubot:10-20.

[31] - ينظر : البرهان في علوم القرآن ج 3 ص 64.

Al burhaan Fi Uloom Al Quran,vol 3, pno 64.

[32] - سورة الأعراف: 158.

Surat Alaraaf:158

[33] - ينظر: الإتقان في علوم القرآن 3/246.

Al Itiqaan Fi Uloom Al Quran, vol 3,pno 246.

[34] - سورة البقرة: 59.

Surat Albaqarah:59

[35] - الإتقان في علوم القرآن 3/248.

Al Itiqaan Fi Uloom Al Quran, vol 3, pno 248.

[36] - سورة الكهف: 77.

Surat AlKhaaf:77.

[37] - من محاضرات الدكتوراه التى ألقاها الدكتور شرف الدين رحمه الله سنة 2006 في الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد.

Min Muhazraat Aduktoorah Allati Alqaha Aldaktoor Sharf U Din Rahima Allah, 2006, Fil Aljamia Alslamia Alalimaya Islamabad.

[38] - ينظر: الإتقان في علوم القرآن ص 724.

Al Itiqaan Fi Uloom Al Quran, pno 724.

[39] - سورة البقرة: 8.

Surat Albaqarah:8

[40] - سورة الأنعام: 25.

Surat alanaam:25

[41] - البرهان في علوم القرآن 3\383.

Al burhaan Fi Uloom Al Quran, vol,3 pno 383.

[42] - ينظر : الإتقان في علوم القرآن

Al Itiqaan Fi Uloom Al Quran,

[43] - سورة الأنعام: 139.

Surat alanaam:139

[44] - الإتقان في علوم القرآن 383\3.

Al Itiqaan Fi Uloom Al Quran, vol 3, pno 383.

[45] - ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص 19.

Lisaniyaat Alnass Madkhal Ila Insijaam Alkhitaab, pno19.

[46] - سورة النحل: 10-13، 65.

Surat Alnahal: 10-13-65.

[47] - الدكتور شرف الدين ، من محاضرات الدكتوراه التى ألقاها في الجامعة الإسلامية العالمية،(إسلام آباد الجامعة الإسلامية العالمية، سنة 2006م).

Min Muhazraat Aduktoorah Allati Alqaha Aldaktoor Sharf U Din Rahima Allah, 2006, Fil Aljamia Alslamia Alalimaya Islamabad.

[48] - ينظر: الدكتور فاضل السامرائي، معاني النحو،(بيروت، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى، 2001م) ص 1/119.

Alduktoor Fazil Assamrahi, Maani Alnawh(Beirut, Darul Fikr LilTabaat Wn nashr, watouzhee, Edition,1 2001)Vol 1 pno,119.

[49] - ينظر علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 1/116.

Ilm Ul Lughah WTatbeeq, vol, 1, p no116.

[50] - سورة الأنعام: 97-98، 39.

Surat alanaam: 39, 97, 98.

[51] - سورة الأنعام: 114.

Surat alanaam:114

[52] - سورة الأنعام: 141.

Surat alanaam:141

[53] - سورة البقرة: 21.

Surat Albaqarah:21

[54] - ينظر : التحريرو التنوير ،ص 327 /1.

Athreer Wttanveer, vol 1, pno 327.

[55] - ينظر: د. عمر أبوخرمة،نحو النص نقد النظرية و بناء أخرى(الأردن، عالم الكتب الحديث، الطباعة 1، 2004م) ص 184.

D Umar Abu Kharama, Alnass Naqd Alnazriya W Binaa Ukhra(Jordan Aalim alkutub Al hades, Edition 1, 2004) p no184.

[56] - معاني النحو، الدكتور فاضل السامرائي 1/263.

Maani Alnawh, Alduktoor Fazil Assamrahi,vol 1,p no263.

[57]- أبو عمرو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تح وشرح: عبد السلام محمد هارون (القاهرة مكتبة الخانجي،ط4، 1975م) ص67/ 1.

Abu Amr Usman Al Jaahiz, Albayaan W Altabeen, Tehqeeq,Abdul Salaam Muhammad Haroon(Cario Maktaba Alkhanji, Edition,4,1975) vo,1,p no67.

[58] - ينظر: جميل عبد المجيد،البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية،(مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب) ص 78.

Jameel Abdul Majeed, Albadee Bayna Albalagh Alarabia W allisaniyaat Alnisiya (Misr Alhiyat almisriya Alaamah Lilkutb) p no78.

[59] - Cohesion in English p 324-325.

[60] - ينظر: د.محمد حماسة، في بناء الجملة العربية(مصر، دار الشروق طباعة 1 1996م). ص 74.

D Muhammad Hamasa, Fi Binaa Aljumla Alarabia(misr, Dar Alshrooq Edition1 1996) p no74.

[61] - ابن السراج النحوي البغدادي، الأصول في النحو تحقيق: د.عبد الحسين الفتلي، (بيروت مؤسسة الرسالة، الطبعة 3، 1988م). ص 45 /2.

Ibn Alsiraaj Anahvi Albagdadi, Alasool Fi Al Nahv, Tehqeq, Dr Abdul Alhussain Alqatli(Beirut Mouassah Alrissalah, Edition 3, 1988)vol,2, p no 45.

[62] - أبو الفتح عثمان بن جني، اللمع في العربية ، تقديم وتحقيق وتعليق د.حسين محمد شرف ،(القاهرة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ط 1 ، 1978م) ،ص 177.

Abu Alfatah Usman Bin Jinhi, Allumae Fi Alarabia, Taqdeem wTehqeq Dr Hussain Muhammad Sharaf(Cairo Kuliya Darul Uloom, Jamia Alqahira,Edition1,1978) p no177.

[63] – ينظر: المرجع السابق، وينظر:يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل (بيروت عالم الكتب)، ص 74/3، ينظر: ابن عصفور الإشبيلي المقرب، تحقيق أحمد عبد الستار و عبدالله الجبوري ،(ط 1 ، 1972م) ص 1/229.

Almarja Alsabiq, W Yaeesh Bin Ali Bin Yaeesh, Sharh Almufasl(Beirut Aalm Alkutub,Vol 3, p no 74.W Ibn Asfoor Aleshbili,Almukrab, Tehqeq, Ahmad Abdul Sattar,Andullah AlJuboori(Edition1 1972) vol 1 p no229.

[64] - شرح الرضي 466/ 1.

Sharah AlRazi, Vol, 1, p no, 466.

[65] - الدكتورالأزهر الزناد، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا(المركز الثقافي العربي طباعة 1 1993م) ، ص 42.

ALduktoor Al-Azhar Alzinaad, Nseej ALnss Bahs Fi Maa Yakono Bhi Almalfuuz Nassn(Almarkaz Alsaqafi Alarabi Edition1 1993) pno 42.

[66] - شرح المفصل لابن يعيش 3/75.

Sharah Almufasal, Libn Yaeesh, vol3, p no 75.

[67] - ينظر : د.عبد الله النقراط، الشامل في اللغة العربية (ليبيا دار الكتب الوطنية ط 1) ص 107.

Dr Abdullah Al-Nuqrat, Alshamil Fi Allugha Alarabia(Libya Darul Kutub Alwatniya Edition1) p no107

[68] - ينظر: الأصول في النحو 55-2/59، وينظر: محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة(بيروت عالم الكتب) ص 148-1/150، و شرح الرضي 4/381.

Alusool Fi Al-Nahv Vol 2 pno 55-59. W Muhammad Bin Yazeed Al-mubarid, Al-Muktazib, Tehqeq, Muhammad Abdul Khaliq Azeema (Beirut Aalim Alkutub) vol1, p no148-150.

[69] - سورة الأنعام: 121.

Surat alanaam:121

[70] - ينظر: محمد محي الدرويش، إعراب القرآن وبيانه،(دمشق، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع)و(دمشق :دار ابن كثير للطباعة والنشر) ص 441 -442 / 8.

Muhammad Mohidin Al- Darwaish, Airaab Al-Quran W Bayanuh (Damascus,Dar Ibn Khatheer Liltabaiti W Al- Nashr) Vol8, p no 441-442.

[71] - ينظر: البرهان في علوم القرآن 102 -103 /4، و مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ص 452 -456.

Al burhaan Fi Uloom Al Quran,Vol 4p no 102- 103. W Mugne Allabeeb An Kutub ALaareeb, pno 452- 456.

[72] - سورة الأنعام: 158.

Surat alanaam:158

[73] - ينظر : أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص(مصر،الهيئة المصرية العامة للكتاب) ط4 ، ص 2/458.

Abu Al-Fathe Usman Bin Jinnie, Al-Khasayes ((Misr Al-Hiyat al-Misriya Al-Aamah Lilkutb Edition 4) Vol 2, p no458.

[74] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق حواشيه محمد رشيد رضا،(مصر مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ميدان،ط 6 ، 1960 م) ص 170، 186.

Abdul Qahir AL-JurJaani, Dalayilul Iejaaz, Taleeq Hawashi Muhammad Rasheed Raza(Misr, Maktaba w Matbaha, Muhammad Ali Sabheeh W Awlaaduhu Maidan,Edition 6,1960)p no 170- 186.

[75] - سورة الروم: 17 -19.

Surat Al-Roum:17-19

[76] - ينظر: التحرير والتنوير65-20/67، وينظر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض(بيروت ،التنزيل الناشر دار الكتب العربي، ط3) ص 217-218 /3.

Athreer Wttanveer, vol 20, pno 65-67. W Abu-Al- Qasim Mahmood Bin Uamr Bin Ahmad Al- Zamakhshari, Al- Kashaaf Ann Haqayeq Gawamiz,(Beirut, Al- Tanzeel Al-Nasher, Darul Al- Katub Al-Arabi, Edition,3) Vol 3, page 217-218.

[77] - ينظر : دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني، ص 170 – 186،و ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم تشريح أستاذ نعيم زرزور(بيروت لبنان، دار الكتب العلمية) ص 248-249.

Dalayilul Iejaaz, Abdul Qahir AL-JurJaani, pno 170-186. Al-Sikaki, Mifaah Al- Uloom, Tashreeh Usaaz Naeem Zarzour (Beirut Lebanon, Dar Ul Kutub Al-Ilmiyah) p no 248-249

[78]- .- سورة الشعراء: 131- 134.

Surat Al-Shoraah: 131-134.

[79] - سورة الشعراء: 23 -26.

Surat Al-Shoraah: 23-26.

[80] - دلائل الإعجاز: ص 174.

Dalayilul Iejaaz: p no 174.

[81] - نفس المصدر، و مفتاح العلوم للسكاكي ص 262.

Nafsul Al- Masder, Mifaah Al- Uloom LiSikaki, P no262.